سينما

عن مهرجانات سينمائية عربية

لا حِرفيّة ومهنيّة بل أمزجة وعلاقات

مهرجانات سينمائية عربية عدّة تُثير تساؤلات مختلفة عن آليات عملها وتنظيمها وعلاقاتها بالنقّاد والصحافيين السينمائيين والضيوف الآخرين

نديم جرجوره

إدارات مهرجانات سينمائية عربية عدّة، تُقام في مدن عربية وغربية، غير مؤهّلة لإدارة وتنظيم يليقان بالسينما، وبنتاجاتها العربية والغربية، وبما يحيط بها من صناعة وصحافة ونقد. المحسوبيات غالبةٌ، وعاملون وعاملات في تلك الإدارات يتصرّفون وفق أمزجة وهواجس وعلاقات خاصة بهم وبهنّ، على حساب الصنعة والمهنة. المهرجان السينمائي صنعة ومهنة، تتطلّبان حِرفية عالية، ووعياً معرفياً ناضجاً، والتزاماً بقواعد مهنية بحتة، لا بارتباطات ذاتيّة وشخصية، إنْ تكن الارتباطات إيجابية أو سلبية، والسلبية أسوأ، فسلوك عامل أو عاملة في إدارة مهرجان مع أفرادٍ يعملون في السينما والنقد والصحافة، وفق عداءٍ شخصيّ، يُسيء إلى المهرجان والسينما، بعد إساءته إلى العامل والعاملة، وإلى الإدارة كلّها.

المأزق منبثقٌ من عادة أصيلة في كيفية صُنع مهرجان سينمائي عربي، انطلاقاً من الدعوات المجانية (تذكرة سفر، وإقامة في فنادق، بعضها 5 نجوم، مع مأكل ومشرب أحياناً). هذا يُشير ضمناً إلى أنّ صاحبَ الدعوة يتحكّم بالمدعو وبمهنته، وتحديداً ذاك الذي يعمل في النقد والصحافة والإعلام. الدعوة المجانية تعني، ضمناً، أنّ كلّ قراءة غير مادحةٍ وغير مُتملّقة تؤدّي، غالباً، إلى امتناع إدارة المهرجان عن دعوة صاحبها لاحقاً.

ولأنّ الدعوة مجانية، يُتاح للمتحكّم في لوائح الضيوف فرصة اختيار من يشاء، بحسب علاقته بمن سيُدعى. الطامة الكبرى تحصل إنْ يكن المتحكّم في تلك اللوائح ملحقاً/ ملحقة صحافياً لمخرج أو مخرجة، والمدعو ناقدٌ له قراءات نقدية في أفلام لهذا المخرج أو لتلك المخرجة، والقراءاتُ غير مُستحَبّة، لأنها غير متزلّفةٍ. يقول مدير مهرجان عربي لناقدٍ (التحفّظ عن ذكر الاسمين متأتٍ من عدم وجود دليل ملموس على هذا القول) إنّ لديه مشكلة في مسألة الدعوات: «هل سأدفع تكاليف مختلفة لدعوة ناقدٍ، ثم يكتب الناقد ما لا يتلاءم والمهرجان؟».

الدعوات المجانية مصيبة، وإلغاؤها عربياً يؤثّر سلباً على مهرجانات تريد مديحاً، ومعظم المدعوين والمدعوات يوافقون ضمناً على المديح، فالسفر مطلبٌ يتجاوز السينما إلى التسوّق والنزهة والسياحة. إدارات مهرجانات عربية قليلة تُكرّم نقّاداً وصحافيين سينمائيين، فتكون الدعوة مجانية والكتابة حرّة، وهذا مهمّ وأساسيّ.

أما المزاج فأسوأ الحاصل في إدارات مهرجانات. متحكّمون ومتحكّمات بلوائح الدعوات يُلغون أسماءً ويُضيفون أخرى وفق علاقاتهم وعلاقتهنّ بأصحاب تلك الأسماء. هذا يُسقط عن المهرجان حرفيّته ومهنيّته ومعناه. المشكلة أنّ هؤلاء يتصرّفون بهذه الطريقة، وهم يعملون في مهرجانات إمّا حديثة جداً، وإمّا منهارة جداً، وإمّا متخبّطة بأزماتٍ وخلل. يظنّ هؤلاء أنّ المهرجانات التي توظّفهم ترتقي إلى مصاف برلين و«كانّ» وفينيسيا ولوكارنو وتورنتو وأمستردام وكليرمون فيران وكارلوفي فاري، وبعض آخر غيرها، وأنّ المهرجانات السينمائية العربية تؤثّر في مسار السينما ومستقبلها، وتمنح مدعويها شهرةً لا مثيل لها، بينما الواقع يقول إنّ تلك المهرجانات مجرّد واجهة إمّا لتغييب فظاعة ما يحدث في هذا البلد العربي أو ذاك من ارتكاباتٍ تبلغ مرتبة الإجرام أحياناً، في الثقافة والفنون والإعلام والصحافة، كما في الاجتماع والاقتصاد والعيش والعلم والمعرفة والحريات؛ وإمّا للحصول على أموالٍ من جهات رسمية أو خاصة، لتلميع صورة من يدفع، وإشهار اسمه في العالم كمهتمّ بالثقافة والفنون وغيرها، عبر السينما، بينما تنحدر صلته بالسينما إلى حدّ الانقطاع المطلق، غالباً.

الأموال لن تصنع احتراماً وثقة. الأمزجة في مهن كهذه اهتراء وانهيار. صُنع مكانة لمهرجان، في بلده أو محيطه أو العالم، يحتاج إلى حِرفيّة ومهنيّة غير مرتبطتين بالمال والمزاج، فالمال والمزاج يحولان دون إنجاح المهرجان، إنْ يكتفي المهرجان بهما. وظيفة المسؤول الصحافي في مهرجانٍ يُفترض بها أنْ تتحرّر من مزاجيته، خصوصاً إنْ يكن هو نفسه ملحقاً صحافياً. إعلامياً لهذا المخرج أو لتلك السينمائية. القراءة النقدية فعلٌ ثقافي وأخلاقي ومهني، لن يخضع لابتزازٍ إنْ يكن الناقد متصالحاً مع ذاته في مهنته وثقافته وحياته. نقّاد عديدون يُدركون هذا، فيُلبّون دعوات مجانية من دون انتقاصٍ من ذواتهم ومهنتهم ووعيهم وثقافتهم، فتبتعد كتابات لهم عن المهرجان كصنعةٍ، وتنصرف إلى أفلامٍ وحواراتٍ، وهذا ضروري ومهمّ. بعضٌ آخر يُفضّل الامتناع عن هذا كلّه، فالمهرجانات الدولية كثيرة، وحضور دوراتها مُتاح، وبعضها يُقدّم دعوات شبه مجانية من دون مُقابل، باستثناء إرسال عمل المدعو إلى إدارة المهرجان، وهذا الاستثناء غير مهتمّ بنوع الدعوة (مجانية أو غير مجانية)، لأنّ إرسال عمل الناقد أو الصحافي السينمائي إلى المهرجان جزءٌ من مهنة الناقد والصحافي والمهرجان معاً.

> المزاج أسوأ الحاصل في إدارات مهرجانات سينمائية عربية

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

مهرجان «كانّ» 2007: حرفيّة ومهنيّة غائبتان عربيا (أم جـ كيم/ Getty)

أفلام جديدة

■ The Hitman's Wife's Bodyguard لباتريك هيوز، تمثيل سلمى حايك (الصورة) ومورغان فريمان وراين رينولدز وصامويل آل جاكسون: مايكل برايس حارس شخصي يعاني أزمة نفسية وروحية بسبب مهنته. يُقيم في بلدة على الساحل الإيطالي لعلاج ضروري يفرض عليه الابتعاد عن العُنف والسلاح. لكنّ القاتل داريوس وزوجته المسلّحة سيدفعانه إلى مواجهة خطرة ودموية، لم يكن يتوقّعها إطلاقاً.

■ Most Eligible Bachelor لبومّاريلّو باشكار، تمثيل بودجا هاغد (الصورة) وأكيل أكِناني: الصدفة وحدها تدفع الزوجين إلى اختبار تجربة غير مسبوقة لهما في حياتهما معاً: في طريق طويلة، تصطدم سيارتهما برجلٍ ظهر فجأة أمامهما في مكانٍ شبه خالٍ. بعد الاهتمام به، يروي لهما قصّته المليئة بتفاصيل غريبة وأناسٍ غير عاديين. معه، يقومان برحلةٍ إنسانية شفّافة وجميلة ومهمّة.

■ «83» لكبير خان (الصورة): قصّة حقيقية عن لاعب الكريكيت الهندي المشهور كابيل ديف، الذي قاد فريق الهند إلى أول فوز له بالبطولة الدولية (لندن، 1983)، بعد مواجهته فريق «ويست إنديز»، المعروف حينها بأنّه «الفريق الذي لا يُقهر». فوز ألهم جيلاً جديداً من لاعبي الكريكيت في الهند، دافعاً إياهم إلى بذل جهود كبيرة بالتدريبات، لتحقيق البطولات والنجاح.

■ Love Hard لهرمان خيمينيز، تمثيل نينا دوبريف (الصورة): تُغرم فتاة من لوس أنجيليس، غير محظوظة في أمور الحبّ والعلاقات العاطفية أصلاً، بشابٍ من الساحل الشرقي، بفضل تطبيقٍ خاص بالمواعدة. تُقرّر زيارته بشكلٍ مفاجئ، ظنّاً منها أنّها بهذا تجعله سعيداً، وتمضي معه أياماً جميلة. عند وصولها، تكتشف أنّها تعرّضت للاصطياد، لتبدأ رحلة الخروج الصعب من الفخّ الذي أوقعت نفسها فيه من دون قصدٍ.

■ Hypnotic لمات آنجل وسوزان كووت، تمثيل كايت سيغل (الصورة/ Getty) وجايزون أومارا ودولي هيل: يجمع الفيلم نمط التشويق بشؤون النفس البشرية، مع تساؤلات عن الذاكرة والحياة والعلاقات والحب والاستغلال. هذا كلّه من خلال حكاية امرأة في مقتبل شبابها توافق على اختبار التنويم المغناطيسي، ظنّاً منها أنه سيُساعدها على اكتشاف شيءٍ من سيرتها وماضيها. لكنّها، بعد أحداثٍ عدّة تحصل معها، تواجه تحدّياتٍ، بعضها خطر للغاية، وأبرزها كامنٌ في عجزها عن التذكّر.

أفغانستان في السينما الهندية

صُوَرٌ تتحدّى الخوف وتحتاج إلى دراما

أشرف الحساني

تُعدّ أفغانستان، اليوم، أشهر دولة على محرّك البحث «غوغل». ذلك أنّ الرعب الذي أثاره وصول «حركة طالبان» إلى الحكم مُجدّداً، ومشهد الطائرة المُخيف، قادرٌ على إثارة شبيهٍ له في العالم، يُضاهي صُوراً سينمائية صنعتها السينما الهندية منذ ثمانينيات القرن الـ20. وصول «طالبان» إلى الحكم معناه نهاية سرديّة الفن في البلد، رغم ادّعاء الحركة عكس ذلك. قرارات المنع والعنف والتهجير تقول بعض المكبوت السياسيّ في المجتمع الأفغاني المعاصر.

الهند أوّل بلدٍ أجنبي ينتبه إلى شروخ المجتمع الأفغاني ومأزقه، منذ نهاية الثمانينيات الماضية، فأُنتجت أفلام سينمائية وتلفزيونية عدّة عملت على تخييل المُجتمع الأفغاني بطرقٍ مختلفة من التناول والمُعالجة. الرغبة في اختراق مجتمع الآخر عاملٌ أساس في فهم نيّة السينما الهندية، وإمكانات خلق صداقة الجوار مع الأفغان، بسبب حربٍ شرسة في الإعلام بين الهند وباكستان حول منطقة كشمير. صداقة الأفغان تحمل في طيّاتها دلالات سياسيّة أكثر منها سينمائية أو جمالية. يبدو ذلك جليّاً في أفلام عدّة، أقامت تواشجاتٍ فنية مع المجتمع الأفغاني، إمّا عبر تخييل سيرة ذاتية، أو الاشتغال على حدثٍ سياسيّ أو اجتماعي أفغانيَّين، أو جعله صورة عرضية في مشهدٍ هندي، أو فضاءً مُتخيّلاً للتصوير، ولتغذية جماليّات الصورة بأجسادٍ ومرواياتٍ ومؤثّرات صوتية، وبمَشاهد طبيعية تروي سيرة هشّة ومُتواضعة، لكنّها تستجيب جمالياً إلى عنصر الصورة في الفيلم الهندي.

رغم الاختلاف الشاسع بين البلدين، في التركيبة الاجتماعية والنسق الثقافي، يعشق الأفغان الفيلم الهندي. شاشاتهم الصغيرة تكاد لا تُفارق الإعلام الهندي، إذْ يتابعون كلّ ما له علاقة بنجوم التلفزيون والسينما، غير مُكترثين بالصراع الهندي . الباكستاني، إلّا بمدى حضوره وتمثّلاته في السينما. ليس غريباً إذا طُرح سؤالٌ عن الأفغان عمّا يعرفونه عن الهند، وعمّا تُمثّله في وعيهم الاجتماعي، فيكون الرد: أميتاب باتشان، نظراً إلى السحر الذي تركته السينما الهندية في وجدان الأفغان أعواماً طويلة، والذي حقّق علاقاتٍ قوية تتجاوز الدبلوماسيات الهشّة للبلد. هذا رغم أنّ المشهد السياسيّ الأفغاني الأخير جعل الهند في وضع حرج، بعد انسحاب القوات الأميركية من أفغانستان، مخافة تداعي ذلك على قضية كشمير.

لذلك، تبدو السينما الهندية معنيّة بما يحصل في أفغانستان وباكستان، أكثر من أيّ منطقةٍ أخرى في العالم. الأفلام كثيرة ومتنوّعة، أهمّها وأشهرها «كابول إكسبريس» (2006) لكبير خان، و«توربازّ» (2020) لغِريش مالِك، و«هروب من طالبان» (2003) لأوجال شاتيرجي. أفلامٌ تناولت أحداثاً تقع في أفغانستان، أو على حدودها، مع اختلاف المنطلقات الأيديولوجية، وزوايا النظر، ودلالات الصورة السينمائية، ومدى تماهيها مع المُتخيَّل السياسيّ الأفغاني.

في «كابول إكسبريس» حكاية صحافيين (جون أبراهام وأرشد وارسي) يُقرّران تصوير قصصٍ ومَشاهد وحكاياتٍ من وسط «طالبان». لكنْ، في طريقهما إليها، يعترضهما رجلٌ من الحركة يُفكّر في اختراق الحدود إلى باكستان، قبل أنْ تَكشف هويته، صدفة، صحافية أميركية (ليندا آرسينيو)، لها المُبتغى نفسه. ذلك كافٍ للرجل كي يبوح بسرّه: كان جندياً في الجيش الباكستاني قبل التحاقه بـ«طالبان»، رغم اختلاف آرائه وتصوّراته عنها، ما جعل ابنته زويا تهجره، وتُقرّر العيش هناك بعيداً عنه.

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

غِريش مالِك: افغانستان في افلامه مختبر للتفكير (تشانغ سانغ ـ جان/ Getty)

> يعشق الأفغان أفلام الهند وشاشاتهم لا تُفارق إعلامها